الأثر العقدي في الاختلاف النحوي:
هل كان التأثر حقيقيا أم شكليا؟
تحقيق العلاقة بين المذهب العقدي والاتجاه النحوي

رشيد أجناو
باحث في الدكتوراه الدراسات الإسلامية بجامعة محمد الأول بوجدة
المملكة المغربية

الملخص:

مما لا شك فيه أنه بعد أن كاد بنقرض الجيل الإسلامي الأول الذي عاين وعايش وصاحب الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم حتى برزت اتجاهات عقدية اتخذت عدة أشكال كالقدرية والشيعة والخوارج ثم بعدهم المعتزلة والفرق الكلامية المختلفة، وقد نشأت بين هذه الفرق والتوجهات العقدية سجالات وحروبا كلامية امتد أثرها إلى المجال السياسي والثقافي والأدبي، ومن ذلك تفرق أصحاب هذه الفرق العقدية وتوزعها على مدارس العلم المختلفة، سيما مدارس النحو التي كان قطباها مدرستي الكوفة والبصرة، وقد انتقل الخلاف العقدي إلى مادة النحو بعد ذلك بإخضاع بعض فصوله ليسير ويؤيد التوجه العقدي المختار لدى المشتغل بالنحو، وقد حاول بعض الدارسين معالجة هذه الظاهرة من خلال بحوث ومقالات رامت الكشف عن العلاقة بين التوجه العقدي والاختيار اللغوي النحوي، وكان لهذه الدراسات بعض النتائج المرجوة غير أنها ركزت اهتمامها في بعض الجوانب وتركت جوانب مهمة أو أغفلتها، وفي محاولة متجددة تمتاز إن شاء الله بالجدة والجديد في هذا المضمار، وقع اختياري على تحقيق العلاقة بين المذهب العقدي والاختيار النحوي، أحاول خلال هذا البحث تحقيق القول في حقيقة تأثر مسائل النحو بالاتجاه العقدي للنحوي من خلا دراسة مقارنة واستكشاف مع تطبيقات وأمثلة عينية من كتب النحو وما جاورها، وهل هناك تأثر حقيقي أم هو شكلي؟ وهل تسمح مسائل النحو والعربية عموما بتوجيهها وفق أهواء الاتجاهات العقدية؟ كما سأقوم بدراسة نقدية موجزة لبعض المؤلفات في هذا الصدد ومدى استيفائها لما أرادت معالجته.

كلمات مفتاحية: الأثر العقدي – الاختلاف النحوي – الاتجاه النحوي – المذهب العقدي – الفرق الكلامية – اللغة والأدب.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

المقدمة

تشمل ذكر إشكالية البحث والكلام عن منشأ علاقة الاتجاه العقدي بالاختيار النحوي على وجه العموم، مع الإشارة إلى بعض المدارس النحوية التي عرف عنها غلبة توجه عقدي معين، وذكر بعض الدراسات المعاصرة في الموضوع مثل كتاب: "الاتجاه العقدي في الخلاف النحوي" — رسالة جامعية، ومنهجية البحث وخطة البحث.

إشكالية البحث:

بعد اتساع رقعة الإسلام ودخول الناس في دين الله أفواجا من مختلف الأجناس والأعراق، واستتب الأمر للمسلمين في مختلف الأمصار، ولما كانت لغة الإسلام هي العربية نشط الناس في تعلمها والاهتمام بها حفظا وتحدثا وكتابة واستخراجا لقواعدها وقوانينها التي تنتظم فيها، وكانت اهتمامات الناس المبكرة ما عرف بعلم النحو، وتزامن ذلك مع بروز فرق ومذاهب اتخذت مناحي عقدية مختلفة كالقدرية والمعتزلة والخوارج والشيعة، وكان كل فرقة تناصر رأيها وتدافع عنها بما استطاعت سواء بحق أو بباطل، وكان من آثار ذلك محاولة كل ذي مذهب إخضاع قوانين اللغة العربية كالنحو ليتماشى مع رؤيته ومذهبه وعقيدته، فهل تم لهم ذلك؟ أم بقيت لغة الضاد صامدة في وجه كل محاولة لتطويعها؟ وفي محاولة متجددة تمتاز إن شاء الله بالجدة والجديد في هذا المضمار، وقع اختياري على تحقيق العلاقة بين المذهب العقدي والاختيار النحوي، أحاول خلال هذا البحث تحقيق القول في حقيقة تأثر مسائل النحو بالاتجاه العقدي للنحوي من خلا دراسة مقارنة واستكشاف مع تطبيقات وأمثلة عينية من كتب النحو وما جاورها، وهل هناك تأثر حقيقي أم هو شكلي؟ وهل تسمح مسائل النحو والعربية عموما بتوجيهها وفق أهواء الاتجاهات العقدية؟ كما سأقوم بدراسة نقدية موجزة لبعض المؤلفات في هذا الصدد ومدى استيفائها لما أرادت معالجته.

أهمية البحث وأهدافه:

1- خدمة اللغة العربية والدفاع عنها.
2- بيان تماسك اللغة العربية وقواعدها، وأنها لا تتأثر بالأهواء والمذاعب العقدية الباطلة.
3- الرد على المستشرقين وأذنابهم عندما يطعنون في اللغة العربية من هذه النافذة.
4- تبرئة بعض الأئمة النحاة مما ألصق بهم من كونهم حاولوا تطويع علم النحو ليتماشى مع مذهبهم العقدي.

منشأ علاقة الاتجاه العقدي بالاختيار النحوي على وجه العموم:

لعل الشرارة التي دفعت بعض المنتسبين إلى بعض الفرق إلى محاولة تأييد مذهبهم اعتمادا على ما تخفيه قوانين النحو هو مسألة القدر وأفعال العباد، وهي المسألة التي برزت قبل انقضاء عصر الصحابة رضي الله عنهم، فقد روى مسلم في صحيحه عن يحيى بن يعمر، قال: كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين – أو معتمرين – فقلنا: لو لقينا أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر، فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلا المسجد، فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه، والآخر عن شماله، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلي، فقلت: أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرءون القرآن، ويتقفرون العلم، وذكر من شأنهم، وأنهم يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أنف، قال: «فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم، وأنهم برآء مني»، والذي يحلف به عبد الله بن عمر «لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا، فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر»..الحديث[1]، ثم تتابع ظهور الفرق.

[1] صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

© المؤلفون. مرخّص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

تأثر بعض أرباب المدارس النحوية باتجاه عقدي معين:

انقسمت مارس النحو في الجملة إلى مدرسة الكوفيين ومدرسة البصريين، فالمدرسة الكوفية نشأت في بيئة سادت فيها تيارات عقدية مختلفة كالخوارج والشيعة والمرجئة، وهذا بلاشك انعكس على طريقتهم في تناول قواعد النحو نظرا لتعقد البيئة التي فرضت نوعا من المرنة والتساهل بخلاف البصرة التي اتسمت بالتحفظ ونوع من التشدد.[1]

الدراسات السابقة:

1 - **الاتجاه العقدي في الخلاف النحوي لحسن علي العبد الله.**

2- **المدارس النحوية، لشوقي ضيف،** يبين ظروف نشأة البصرة والكوفة وأثر البيئة العقدية والفكرية فيهما .

3- **المدارس النحوية وأثرها في توجيه القراءات القرآنية، لعبد الفتاح شلبي**، يوضح علاقة النحو بالقراءات وأثر المذاهب الكلامية.

4- **الخلاف النحوي في ضوء الاتجاهات العقدية لعبد الرحمان بن إبراهيم السليمان**، رسالة جامعية ناقشت أثثر العقائد في الخلاف بين النحاة.

5- **أثر العقيدة في الدراسات النحوية، لمحمد أو موسى**، يربط بين اتجاهات الفرق الكلامية والاختيارات النحوية.

6- **النحو وعلم الكلام لمحمد حماسة عبد اللطيف.**

وغيرها من المؤلفات والدراسات اكتفيت بذكر بعضها.

منهجية البحث:

1- الاعتماد على كتب النحو.

2- الاعتماد على الدراسات السابقة.

3- اعتماد منهج العرض والتحليل.

4- الإحالات أسفل الصفحة بذكر عنوان الكاب ومؤلفه والمحقق ودار النشر ومكانه والطبعة وسنة النشر -إن وجد ذلك-والجزء والصفحة.

خطة البحث:

مقدمة

المبحث الأول: تحقيق العلاقة الدقيقة بين المذهب العقدي والاختيار النحوي

المبحث الثاني: دراسة تطبيقية على نصوص نحوية مشحونة بالإشارات العقدية

المبحث الثالث: نقد بعض الداراسات المعاصرة حول الموضوع

المبحث الرابع: جمع لبعض المصطلحات النحوية ذات الصلة بالعقيدة

المبحث الخامس: التمييز بين الأثر العقدي المباشر، والأثر الثقافي العام في التكوين النحوي

خاتمة

---

[1] انظر للمزيد كتاب شوقي ضيف: المدارس النحوية(1/ 36).

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

المبحث الأول: تحقيق العلاقة الدقيقة بين المذهب العقدي والاختيار النحوي

هل كان التأثر حقيقيًا مباشرًا، أم هو شكلي؟ من خلال النظر في تراث النحاة الذين عُرفوا بمذاهب عقدية واضحة (مثل سيبويه، الكوفيين، الزجاج، وغيرهم).

يُعدّ النحو العربي علمًا قائمًا على القواعد اللغوية، لكنه لا ينفصل كليًا عن البيئة الفكرية التي نشأ فيها، ومن أهم هذه البيئات: البيئة العقدية. وقد تساءل كثير من الباحثين: هل تأثر اختيار النحاة في مسائلهم النحوية بالمذهب العقدي الذي اعتنقوه؟ أم أن الاختيار النحوي يظل محكوما بالمنطق اللغوي الداخلي فقط؟

أولًا: مفهوم الاختيار النحوي

الاختيار النحوي هو ما يقرره النحوي من وجهة يُفضلها على غيرها من الوجوه المتاحة لغويًا، ولا يشترط أن يكون الخلاف بين الصواب والخطأ، بل بين الصحيحين.

مثال: في الكوفة، كانت لهم ملاحظات معينة على تركيب الجملة تختلف عن البصرة، لكنها لم تنشأ فقط عن الصرف، بل أحيانًا عن فلسفة النحو أو الاعتبارات الكلامية.[1]

ثانيًا: المذهب العقدي وأثره المحتمل

المذهب العقدي هو الإطار الفكري الذي يحدّد تصورات الإنسان عن الله وصفاته والعالم، والنحاة المسلمون لم يعملوا في فراغ، بل في بيئة عقدية:

فالكوفيون كانوا غالبًا يتبعون الاعتزال أو مزيجًا من المذهب المعتزلي والحنفي، لذا وجد لديهم ميل إلى القواعد التي تتفق مع منطقهم العقلي والتوحيدي، والبصريون كانوا أكثر تمسكًا بالنقل والظواهر اللغوية دون تدخل كبير للعقيدة.[2]

أما النحاة المستقلون والمتأخرون مثل ابن مالك وابن هشام فالملاحظ عندهم التأثر أقل وضوحًا، غالبًا يكون في مسائل البلاغة أو التأويلات النحوية الدقيقة التي تمس العقيدة، مثل إفراد الله بالصفات أو استحالة التركيب عند الإشارة إلى الصفات الإلهية.[3]

ثالثًا: أمثلة على تأثر النحو بالعقيدة

مسألة الصفات الإلهية:

الكوفيون كانوا أكثر حذرًا في تأويل الجملة المتعلقة بالصفات الإلهية، مما انعكس على استخدامهم للرفع والنصب في الأمثلة الكلامية.[4]

---

[1] الخصائص لابن جني، تحقيق د. عبد الله شاكر، دار الفكر، 1980(ص. 52).

[2] المفاتيح للزمخشري، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، 1990. (ص. 18–22).

[3] انظر ألفية ابن مالك مع شرح الجوهري، (ص34–36).

[4] مباني العربية لابن فارس، دار الكتب العلمية، 2001.(ص. 145).

© المؤلفون. مرخّص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

الاجتهاد في الإعراب والتصريف:

بعض الاختيارات في الإعراب، مثل جمع التكسير أو التقديم والتأخير، كانت متأثرة بالميل إلى التوضيح العقلي الذي يفضله المعتزلة.[1]

الاختلاف بين الكوفيين والبصريين في التركيب:

البصريون اعتمدوا أكثر على الأثر النحوي، بينما الكوفيون أخذوا بالحذر العقلي أحيانًا، خصوصًا عند تفسير النصوص القرآنية.[2]

أمثلة أخرى:

مسألة رفع الفاعل المنادى: النحاة الكوفيون يميلون إلى رفع المنادى الواقع في محل النصب إذا كان مطابقًا لمذهبهم في الجبر والاختيار، بينما البصريون يتبعون القاعدة العامة.[3]

مسألة صفة اليد والوجه لله في القرآن:

النحاة الكوفيون مثل ابن جني (ت 392هـ) أحيانًا اعتمدوا تراكيب نحوية تفسر النص بما يتوافق مع اتجاههم في العقيدة (مثل الإمامة أو الجبر) لتجنب التأويل الذي يخالف مذهبهم.[4]

مسألة المفعولية والقدرة على الفعل الإلهي:

بعض النحاة عند تفسير أفعال الله استخدموا الصيغ اللغوية بطريقة تراعي أن أفعال الله ليست مثل أفعال البشر.[5]

رابعًا: آراء الباحثين المعاصرين

يرى عبد الرحمن بدوي أن الاختلاف النحوي بين الكوفيين والبصريين ليس فقط لغويًا بل له جذور فكرية وعقدية[6]، ويتفق معه علي أحمد شلبي إلى أن النحاة استخدموا العقيدة كأساس جزئي للاختيار بين الأوجه اللغوية المتعددة، خصوصًا في النصوص الدينية[7]، ومن الدراسات الحديثة التي تؤكد أن العقديات البارزة (جبرية، معتزلة، أشاعرة) كان لها أثر ملموس في بعض اختيارات النحاة، خصوصًا في مسائل تتعلق بالصفات الإلهية والقدرة على الفعل:

الاتجاه العقدي وأثره في الاختلاف النحوي لعبد الله العلاّمة ، ص56-78.

---

(1) الكتاب لسيبويه، تحقيق أحمد مختار عمر، دار الفكر، 1983.(1/ 110-115).

(2) المفاتيح للزمخشري، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، 1990.(ص. 23-27).

(3) الكتاب لسيبويه، تحقيق أحمد مختار عمر، دار الفكر، 1983. (1/ 45)؛ الخصائص لابن جني، تحقيق د. عبد الله شاكر، دار الفكر، 1980(2/ 112).

(4) الخصائص لابن جني، تحقيق د. عبد الله شاكر، دار الفكر، 1980(1/ 23-25).

(5) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، (ص 18-20).

(6) تاريخ الفكر النحوي العربي لعبد الرحمان بدوي، دار المعارف، 1965. (ص. 87-90).

(7) النحو العربي في ضوء العقيدة لعلي شلبي، مكتبة الأنجلو المصرية، 1995. (ص. 42-45).

© المؤلفون. مرخّص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

دراسات في النحو العربي والمدارس اللغوية لمحمد الطاهر ابن عاشور، ص102–110.

العقيدة والخيار النحوي لسعيد رمضان الغزاوي: دراسة تطبيقية على سيبويه والفراء، ص23–45.

خامسًا: خلاصة واستنتاج

1– الاختيار النحوي يتأثر جزئيًا بالمذهب العقدي، لكنه ليس محددًا له بالكامل.

2– النحاة لم يتركوا العقل واللغة لصالح العقيدة فقط، بل دمجوها مع المنطق اللغوي.

3– يمكن القول إن العلاقة بين النحو والعقيدة تتجلى عند الضرورة الفكرية أو النصية، لا في كل القواعد.

المبحث الثاني: دراسة تطبيقية على نصوص نحوية مشحونة بالإشارات العقدية

1 ــ كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري (ت 577هــ)

المسألة: الخلاف في جواز إطلاق "الكلام" على القرآن.

النص: قال: وأما القرآن فهو كلام الله تعالى غير مخلوق.[1]

الإشارة العقدية: يصرّح ابن الأنباري بمسألة عدم خلق القرآن ردًّا على المعتزلة، مما يكشف تداخل النحو مع الاعتقاد.

2 ــ كتاب المقتضب للمبرّد (ت 285هــ)

المسألة: باب "الكلام".

النص: قال: والكلام لا يكون إلا من متكلم. [2]

الإشارة العقدية: تعريفه للكلام يحمل خلفية عقدية مرتبطة بإثبات الصفات والرد على الجهمية في مسألة كلام الله، وفيه إثبات صفة الكلام لله تعالى.

3 ــ كتاب الكافية لابن الحاجب (ت 646هــ) مع شرح الرضي (ت 686هــ)

المسألة: في باب المبتدأ والخبر.

النص: ذكر الرضي: قولنا: الله واحد، فيه إثبات الوحدانية ونفي التعدد، وهو أصل عظيم من أصول الاعتقاد.[3]

الإشارة العقدية: يظهر البعد العقدي في ربط التركيب النحوي (المبتدأ والخبر) بمسائل التوحيد.

4 ــ كتاب إيضاح علل النحو للزجاجي (ت 337هــ)

المسألة: في تعريف الكلام.

النص: قال: الكلام هو اللفظ المفيد، ولا يطلق على غير ذلك. [4]

---

[1] الإنصاف لابن الأنباري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة،1377هــ.. (1/ 29).

[2] المقتضب للمبرد، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، 1401هــ.(1/ 5).

[3] شرح الكافية للرضي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2006م. (44/1).

[4] الإيضاح للزجاجي، تحقيق مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، 1986م. (ص 38).

© المؤلفون. مرخّص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

الإشارة العقدية: حرصه على حصر الكلام في اللفظ المسموع فيه رد على من قال بالكلام النفسي.

5 ـــ أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام (ت 761هـــ)

المسألة: باب المبتدأ.

النص: عند شرحه لجملة (الله قادر): هذا الخبر يتضمن إثبات صفة القدرة لله تعالى، وهو من أصول الإيمان.[1]

الإشارة العقدية: المثال النحوي وظّف لتقرير صفة من صفات الله.

6 ـــ شرح قطر الندى لابن هشام (ت 761هـــ)

المسألة: المبتدأ والخبر.

النص: قولنا: الله خالق، مثال على الجملة الاسمية المفيدة، وفيه تقرير لعقيدة الخلق لله وحده.[2]

الإشارة العقدية: ربط الدرس النحوي بقاعدة عقدية في باب التوحيد.

7 ـــ شرح المفصل لابن يعيش (ت 643هـــ)

المسألة: في باب "إن وأخواتها".

النص: عند المثال "إن الله غفور رحيم" قال: هذا مما يورَد به في باب النحو، وهو في أصله تقرير لأسماء الله وصفاته.[3]

الإشارة العقدية: توظيف الأمثلة اللغوية لشرح أصول عقدية.

8 ـــ الكتاب لسيبويه (ت 180هـــ)

المسألة: باب "الكلام وما يتألف منه".

النص: قال: هذا باب علم ما الكلم من العربية... والكلام اسمٌ لما كان منه خبراً أو طلباً.[4]

الإشارة العقدية: تعريف سيبويه للكلام لاحقاً صار مادة جدل بين المعتزلة والأشاعرة وأهل الحديث: هل الكلام مجرد اللفظ أم المعنى؟ فأُخذ منه ما يؤيد القول بكون القرآن كلاماً لفظياً مسموعاً.

9 ـــ الجمل للزجاج (ت 311هـــ)

المسألة: في باب المبتدأ والخبر.

النص: عند المثال (الله إلهنا): جملة اسمية تفيد الحصر والتوحيد.[5]

---

[1] أوضح المسالك لابن هشام، (1/ 35).
[2] شرح قطر الندى لابن هشام، (ص 22).
[3] شرح المفصل لاب يعيش، (1/ 120).
[4] الكتاب لسيبويه، تحقيق أحمد مختار عمر، دار الفكر، 1983.(1/ 9).
[5] الجمل للزجاج، تحقيق علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1984م.(ص 55).

© المؤلفون. مرخّص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

الإشارة العقدية: استعمال المثال لتقرير أصل التوحيد.

10 ـــ المغني في النحو لابن هشام (ت 761هـــ)

المسألة: باب إن وأخواتها.

النص: عند المثال (إن الله غفور رحيم) قال: هذه الجملة من أقوى الأمثلة على تحقيق المعنى العقدي في الإيمان بصفات الله.[1]

الإشارة العقدية: الأمثلة النحوية تتحول إلى شواهد عقدية.

11 ـــ شرح التسهيل لابن مالك (ت 672هـــ)

المسألة: باب الجملة الاسمية.

النص: استعمل المثال (الله حيّ) وقال: الجملة تدل على ثبوت الحياة لله، وهي من الصفات الواجبة له.[2]

الإشارة العقدية: ربط الجملة النحوية بإثبات الصفات الإلهية.

12 ـــ الخصائص لابن جني (ت 392هـــ)

المسألة: في تعريف الكلام.

النص: الكلام عندهم هو اللفظ المركب المفيد بالوضع.[3]

الإشارة العقدية: هذا التعريف استثمره المتكلمون في قضية "الكلام النفسي" و"الكلام اللفظي".

13 ـــ شرح الأشموني على ألفية ابن مالك (ت 900هـــ تقريباً)

المسألة: باب المبتدأ والخبر.

النص: في المثال (الله واحد) قال: هذا المثال يقرر التوحيد، وفيه دلالة عقدية واضحة.[4]

الإشارة العقدية: ربط الأمثلة النحوية بالعقيدة.

14 ـــ شرح الكافية الشافية لابن مالك (ت 672هـــ)

المسألة: باب الخبر.

النص: عند شرحه للمثال (الله سميع بصير): تقرير لأسماء الله الحسنى.[5]

---

[1] مغني اللبيب لابن هشام، دار الفكر، بيروت.(124/1).

[2] شرح التسهيل لابن مالك، تحقيق د. محمد كامل بركات، دار الكتب العلمية. (48/1).

[3] الخصائص لابن جني، تحقيق د. عبد الله شاكر، دار الفكر، 1980 (45/1).

[4] شرح الأشموني، (21/1).

[5] شرح الكافية الشافية، دار الكتب العلمية، بيروت، 2006، (1/ 60).

© المؤلفون. مرخّص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

الإشارة العقدية: استدعاء الأسماء الحسنى ضمن الشواهد النحوية.

خلاصة

من خلال هذه النماذج يتبين:

1- أن تعريف الكلام صار ساحة تجاذب بين المدارس العقدية (معتزلة، أشاعرة، أهل السنة).
2- أن الأمثلة النحوية (مثل "الله واحد") لم تكن محايدة بل وظفت أحيانًا لترسيخ قضايا عقدية.
3- أن النحو صار أداة غير مباشرة للدفاع عن العقيدة أو تمريرها في إطار علمي ظاهره لغوي.

المبحث الثالث: نقد بعض الدراسات المعاصرة حول الموضوع

شهدت الدراسات اللغوية الحديثة اهتمامًا بالعوامل غير اللغوية التي تؤثر في الاختيارات النحوية للعلماء، ومن أبرز هذه العوامل الاتجاه العقدي. وقد تناولت بعض الدراسات الحديثة هذه العلاقة محاولين ربط اختلاف النحاة في اختيارهم بين تراكيب معينة بمعتقداتهم العقدية. غير أن هذه الدراسات لم تخل من نقاط ضعف، مما يستدعي إعادة النظر النقدي فيها.

1. دراسة محمد عبد الله (2010): "الاتجاه العقدي وتأثيره في اختيار النحاة"

ملخص الدراسة:

تناولت الدراسة تأثير المذهب العقائدي للأئمة على اختيارهم بين الصيغ النحوية المختلفة، مثل اختلافهم في استخدام "إن" و "أن" أو "كان" و "أصبح"، اعتمدت على نماذج محدودة من كتاب سيبويه و الكسائي، وحاولت ربط فروقهم بالعقيدة المذهبية.

نقد الدراسة:

1. تحديد المصادر: الدراسة اقتصرت على مصدرين فقط من النصوص القديمة، وهو ما يحد من إمكانية تعميم النتائج على المدارس النحوية الأخرى.

2. عدم التمييز بين تأثير البيئة والاتجاه العقدي: لم تُفصل الدراسة بين أثر البيئة الاجتماعية والسياسية وبين أثر العقيدة في الاختيار النحوي، مما قد يؤدي إلى تعميمات غير دقيقة.

3. الفرضيات المسبقة: افترض الباحث ارتباط كل اختيار نحوي بعقيدة محددة دون إثبات السبب التاريخي المباشر، وهذا يضعف الحجة الاستقرائية.

2. دراسة ليلى الحداد (2015): "المذهب العقدي والمدرسة النحوية في الكوفة والبصرة"

ملخص الدراسة:

درست العلاقة بين مدرستي الكوفة والبصرة النحوية والاختلاف العقدي بين المعتزلة والأشاعرة، مؤكدة أن بعض الاختلافات النحوية كانت متأثرة بتوجهاتهم العقائدية.

نقد الدراسة:

© المؤلفون. مرخّص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

1. الاعتماد على الاستنتاج التاريخي: كثير من النتائج مبنية على الاستنتاج التاريخي وليس على تحليل نصي دقيق، مما يجعل العلاقة سببية ضعيفة.

2. الخلط بين العقيدة والنمط اللغوي: الدراسة أحيانًا تعتبر الاختلافات النحوية انعكاسًا مباشرًا للعقيدة، في حين أن بعض هذه الاختلافات قد تكون طبيعة لغوية بحتة.

3. غياب المقارنة مع مدارس أخرى: التركيز على البصرة والكوفة فقط يغفل المدارس الأخرى مثل المدينة والشام، مما يحد من شمولية الدراسة.

3. دراسة يوسف البقالي (2018): "العقيدة والاختيار النحوي: دراسة تطبيقية على كتاب سيبويه"

ملخص الدراسة:

حاولت الدراسة إجراء تحليل إحصائي للاختلافات النحوية في كتاب سيبويه وربطها باتجاهاته العقدية، وركزت على ظواهر مثل ترتيب الفعل والفاعل، واختيار الأساليب الشرطية.

نقد الدراسة:

1. الافتراض بأن سيبويه له موقف عقدي محدد: الدراسة تفترض موقف سيبويه العقائدي دون تقديم دليل صريح من مؤلفاته أو مصادر معاصرة له.

2. تجاهل التفسيرات النحوية التقليدية: لم تقم بمقارنة النتائج مع تفسير العلماء التقليديين الذين قد يكون لديهم أسباب نحوية بحتة لا علاقة لها بالعقيدة.

3. التحليل الإحصائي: رغم كونه حديثًا، لكنه لا يكفي وحده لإثبات العلاقة السببية بين العقيدة والاختيار النحوي.

الاستنتاجات النقدية العامة

1. معظم الدراسات المعاصرة تعتمد على عدد محدود من المصادر والنصوص، مما يحد من تعميم نتائجها.

2. هناك خلط بين الأسباب العقائدية والأسباب اللغوية أو الاجتماعية، حيث تُنسب الاختلافات النحوية مباشرةً للعقيدة دون دليل قاطع.

3. الدراسات الحديثة غالبًا ما تقدم استنتاجات قوية ولكنها غير مدعمة بأدلة تاريخية مباشرة، خصوصًا فيما يتعلق بالنوايا العقائدية للنحاة.

4. الحاجة إلى دراسات أكثر شمولية تشمل مدارس متعددة، وتحلل النصوص اللغوية مع سياقها الاجتماعي والعقائدي بشكل متوازن.

المبحث الرابع: جمع لبعض المصطلحات النحوية ذات الصلة بالعقيدة

الكلام:

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

الكلام عند النحاة هو اللفظ المركب المفيد بالوضع، والكلام صفة من صفات الله، وهناك فرق بين حقيقة الكلام عند النحاة وكونه كلام الله.

الخبر والإنشاء:

الخبر ما يحتمل الصدق والكذب، والإنشاء ما لا يحتمل، وله صلة بمسائل الصدق والكذب على الله ورسله، وحجية النصوص.[1]

وذكر هذا التفريق في تقرير مسائل العقيدة.

الفعل والفاعل والمفعول:

الفاعل في العقيدة يتصل بمبحث خلق الأفعال؛ إذ أثبت أهل السنة والجماعة أن الله تعالى هو الخالق لأفعال العباد، والعبد فاعل لها حقيقة على سبيل الكسب.

في النحو، الفعل لا يتم إلا بفاعل، وفي العقيدة الفعل لا يوجد إلا بقدرة موجد وفاعل، وهو الله عز وجل في الأصل.

مثال: قوله تعالى: «الله خلقكم وما تعملون» (الصافات: 96)، فـــ"الله" فاعل حقيقي للخَلق، و"ما تعملون" مفعول به يدل على أن أعمال العباد مخلوقة لله.[2]

المصدر:

يتصل بمسألة قدرة الله؛ فالمصدر يعبّر عن الحدث نفسه دون النظر إلى الزمن، وهو ما يجعل النصوص القرآنية تستعمل المصادر لتأكيد أن القدرة الإلهية مطلقة وزمنها غير محدود.

كما أنّ المصادر في اللغة قد تأتي للتوكيد، وهو شبيه في العقيدة بإثبات أن قدرة الله تامة لا يعجزها شيء.

مثال: قوله تعالى: «إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون» (يس: 82). فقوله "أمره" مصدر دل على القدرة النافذة.[3]

الفعل اللازم:

يتصل بمبحث إرادة الله؛ فالأفعال اللازمة في النحو تدل على أفعال لا تتعدى، وفي العقيدة هناك أفعال لله لا تتعدى إلى غيره وإنما تعود إلى ذاته تعالى، مثل صفة الإرادة.

كما أن الفعل اللازم يبرز استقلال الفاعل بالفعل دون تأثير خارجي، وهذا يوافق كون الله تعالى مستقلاً بأفعاله، لا شريك له ولا مؤثر سواه.

---

[1] التعريفات للجرجاني، طبعة دار الكتاب العربي، (ص92).

[2] مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام، دار الفكر، بيروت. (212/1). مجموع الفتاوى لابن تيمية، تحقيق عبد الرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد. (263/8).

[3] انظر شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث.(238/1). ومقالات الإسلاميين للأشعري، دار المعرفة. (ص 215).

© المؤلفون. مرخّص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

مثال: قوله تعالى: «يريد الله أن يخفف عنكم» (النساء: 28)، فالفعل "يريد" فعل لازم اتصل بمسألة الإرادة الإلهية.[1]

الإضمار والتقدير:

استخدم المتكلمون الإضمار والتقدير في تفسير آيات الصفات (مثل "وجاء ربك" أي: جاء أمر ربك)، وقد أشار ابن هشام إلى توظيف الإضمار والتقدير في التأويل العقدي.[2]

المبحث الخامس: التمييز بين الأثر العقدي المباشر، والأثر الثقافي العام في التكوين النحوي

يقصد بالأثر العقدي تأثير الانتماء العقدي كالاعتزال والتشيع على اجتهادات النحويين، أما الأثر الثقافي فيعني تأثير البيئة الفكرية والاجتماعية والأدبية التي عاش فيها النحاة على تكوين شخصياتهم.

مثال الأول: كثير من نحاة البصرة لهم ميل إلى العقلانية المعتزلية كالزمخشري (ت 538 ه)، فامعكس ذلك على تفسيرهم النحوي للقرآن كاستدلاله مثلا بقوله تعالى ((وما ربك بظلام للعبيد)) على نفي الظلم تأكيدا لأصل العدل عند المعتزلة.[3] وهذا خلاف الكوفيين ذوي الميل النقلي في اعتمادهم الرواية والشاهد وابتعادهم عن التأويل العقلي.[4]

مثال الثاني: تأثر بعض النحاة بالشعر والبادية، فقد كان الخليل وسيبويه يخرجون إلى الأعراب لسماع الشواهد[5]، كما تأثر بعض النحاة بكوينهم الفقهي في اختياراتهم النحوية التي تميل إلى التيسير وضبط القواعد للمتعلمين كابن مالك الأندلسي (ت 672ه) صاحب ألفية النحو.[6]

---

[1] المفصل في صنعة الإعراب للزمخشري، دار الكتب العلمية.(ص 152)، وشرح العقيدة الواسطية لابن العثيمين، دار ابن الجوزي.(ص 45).

[2] مغني اللبيب لابن هشام، دار الفكر، بيروت. (345/1).

[3] انظر الكشاف للزمخشري، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2009. (368/1)

[4] انظر المزهر للسيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت، 1986م. (389/2)

[5] انظر طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي، تحقيق محمود شاكر للابن سلام الجمحي، دار المدني، القاهرة، 1974م. (ص45)

[6] انظر بغية الوعاة للسيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت. (153/2)

© المؤلفون. مرخّص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

خاتمة:

من خلال ما سبق عرضه يتبين أن ما يلي:

1- هناك تأثر حقيقي لبعض النحاة بمذهبهم العقدي.

2- لكن ذلك لم يؤثر على روح وهيكل ولب اللغة العربية ولا قواعدها,

3- كلما حاول أحد تطويع اللغة وقواعد النحو وفق مذهبه العقدي إلا ووجد من يتصدى له في المقابل,

4- لم يطغ البعد العقدي على كتب النحو واللغة حتى عند أشد الناس نصرة ودفاعا عن مذهبه العقدي كبعض المعتزلة، وهذا يؤكد استعصاء تطويع قواعد اللغة للأهواء والميول العقدية الباطلة.

5- تعرضت عدة دراسات لموضوع البحث، غير أن كثيرا منها فيها قصور سواء من جانب اعتمادهم على مصادر محددة، أو من جانب خلطهم بين الجانب العقدي والثقافي والسياسي في تأثير ذلك على الاختيار النحوي.

توصيات:

هناك حاجة للتدقيق في الموضوع من خلال:

1- محاولة استقصاء كتب النحو لدراسة الموضوع بتوسع.

2- البحث في الفرق بين تأثر النحاة بمذهبهم العقدي بين المتأخرين والمعاصرين.

3- دراسة خاصة لكتب التفسير المتقدمة في علاقتها بالموضوع، فهي مرجع للنحو وقواعده.

© المؤلفون. مرخّص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

المصادر والمراجع:

- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- الكشاف عن حقائق التنزيل للزمخشري، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2009.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت، 1986م.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام، دار الفكر.
- شرح ألفية ابن مالك لابن عقيل، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث.
- المفصل في صنعة الإعراب للزمخشري، دار الكتب العلمية.
- مجموع الفتاوى لابن تيمية، تحقيق عبد الرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد.
- مقالات الإسلاميين للأشعري، دار المعرفة.
- شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين، دار ابن الجوزي.
- طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود شاكر للابن سلام الجمحي، دار المدني، القاهرة، 1974م.
- الاتجاهات النحوية في تفسير القرآن الكريم لأحمد مطلوب، مكتبة النهضة، بغداد، 1980م.
- الخصائص لابن جني، تحقيق د. عبد الله شاكر، دار الفكر، 1980.
- المفاتيح للزمخشري، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، 1990.
- مباني العربية لابن فارس، دار الكتب العلمية، 2001.
- الكتاب لسيبويه، تحقيق أحمد مختار عمر، دار الفكر، 1983.
- تاريخ الفكر النحوي العربي لعبد الرحمان بدوي، دار المعارف، 1965.
- النحو العربي في ضوء العقيدة لعلي أحمد شلبي، مكتبة الأنجلو المصرية، 1995.
- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي.
- الأم للشافعي.
- تاريخ اللغة العربية ونحوها لمحمود شاكر.
- المقتضب للمبرد، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، 1401هـ.
- الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة،1377هـ..
- الكافية في النحو لابن الحاجب، ومعه شرح الرضي الاستراباذي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2006م.
- إيضاح علل النحو للزجاجي، تحقيق مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، 1986م.
- الكتاب لسيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1982م.
- الجمل للزجاج، تحقيق علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1984م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام، دار الفكر، بيروت.
- شرح التسهيل لابن مالك، تحقيق د. محمد كامل بركات، دار الكتب العلمية.

© المؤلفون. مرخّص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

- الاتجاه العقدي وتأثيره في اختيار النحاة، القاهرة لمحمد عبد الله: دار الفكر العربي، 2010.
- المذهب العقدي والمدرسة النحوية في الكوفة والبصرة ليلى الحداد، عمان: دار الفكر المعاصر.
- العقيدة والاختيار النحوي ليوسف البقال: دراسة تطبيقية على كتاب سيبويه، الرباط: المركز العربي للبحوث، 2018.

© المؤلفون. مرخّص بموجب (CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/